Al-Adab Journal **Issue. No (150) (September) 2024**

E-ISSN: 2706-9931 **P-ISSN: 1994-473X**

The Duality of Disability and Aspiration in the Children's Stories of Nadia Al-Najjar

Dr. Badeeah Khaleel Alhashemi PhD in Literature and Modern Criticism
Assistant Professor/Arabic Language and Literature
College of Arts, Humanities, and Social Sciences/University of Sharjah
balhashemi@sharjah.ac.ae

Copyright (c) 2024 (Asst. Prof. **Badeeah Khaleel Alhashemi** (Ph.D.)

DOI: https://doi.org/10.31973/jf87kx39

This work is licensed under a Creative Commons Attribution 4.0 International License.

Abstract:

The story is one of the most beloved literary arts among children, and one of the most successful in achieving the desired educational goals, away from direct directions, orders, and prohibitions. Among the most important of these goals are social, psychological, moral and humanitarian. Dealing with the subject of (people with special needs) is considered one of the important social and humanitarian issues that children's writers should address in their stories. And then they must deal carefully with the ideas they put forward due to the specificity and sensitivity of the issue. Writers must be sufficiently aware of the appropriate method that is compatible with the awareness and mental awareness of the target stage. They must also understand the scientific, psychological ,and social foundations that will help them present the subject to their young readers. Because it is not possible to separate the content and the form in the literary text, the narrator must employ the elements of artistic construction in the child’s story in a manner consistent with its subject matter. Starting from the title of the story, all the way to its conclusion, without ignoring the visual discourse represented in images, drawings ,and colors, which is another language adjacent to the written language of the story.The Emirati writer Nadia Al-Najjar is one of the most prominent writers who presented this topic in a number of her stories. She has dealt with various cases of disability interestingly and artistically, taking into account the educational, psychological, and social standards that children's literature targets. This research deals with four of them with study and analysis on the objective and artistic levels, namely: “I am Different”, “Voices of the World”, “My Wonderful Walk with Uncle Salem”, and “Yellow Sea… Green Sand”, employing the descriptive and analytical approach.

Keywords: artistic construction , children's stories, special needs, story content.

E-ISSN: 2706-9931 P-ISSN: 1994-473X

ثنائيّة الإعاقة والهمّة في قصص الأطفال عند نادية النجّار

د. بديعة خليل أحمد الهاشمي
دكتوراه في الأدب والنقد الحديث
أستاذ مشارك– قسم اللغة العربية وآدابها
كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية/جامعة الشارقة
balhashemi@sharjah.ac.ae

(مُلَخَّصُ البَحث)

إنّ القصّة من أحبّ الفنون الأدبيّة عند الأطفال، ومن أنجحها في تحقيق الأهداف التربوية المنشودة، بعيدًا عن التوجيهات والأوامر والنواهي المباشرة. ومن أهم تلك الأهداف: الاجتماعيّة والنفسيّة والأخلاقيّة والإنسانيّة. ويعدّ تناول موضوع (أصحاب الاحتياجات الخاصة) من الموضوعات الاجتماعيّة والإنسانيّة المهمّة، التي يجدر بأديب الطفل أن يعالجها في قصصه. وعليه حينها أن يكون حذرًا جدًّا في معالجة الأفكار التي يقدمها؛ نظرًا لخصوصيّة الموضوع وحساسيته. ويتوجّب عليه أن يكون على دراية كافية بالأسلوب المناسب الذي يتلاءم مع وعي المرحلة المستهدفة وإدراكها العقلي. كما عليه أن يستوعب الأسس العلميّة والنفسيّة والاجتماعية التي ستساعده في تقديم الموضوع لقرائه الصغار.

ولأنه لا يمكن الفصل بين المضمون والشكل في النص الأدبي، فلابدّ أن يوظف القاص عناصر البناء الفنّي في قصة الطفل توظيفًا ينسجم مع موضوعها؛ لتأتي موضِحة له، متسقة معه. ابتداء من عنوان القصة، وصولاً إلى خاتمتها، وذلك من دون إغفال الخطاب البصري المتمثل بالصور والرسومات والألوان، التي تعدّ لغة أخرى تتجاور مع لغة القصة المكتوبة.

وتعدّ الكاتبة الإماراتيّة نادية النّجار من أهم الكاتبات اللواتي قدّمن هذا الموضوع في عدد من قصصها. فقد عالجت حالات مختلفة من الإعاقة بأسلوب قصصي فنيّ شائق، مراعية المعايير التربويّة والنفسيّة والاجتماعيّة التي يستهدفها أدب الأطفال. ويتناول هذا البحث أربعًا منها بالدراسة والتحليل على المستويين الموضوعي والفنّي، وهي: "أنا مختلف"، و"أصوات العالم"، و"نزهتي العجيبة مع العم سالم"، و"بحرٌ أصفر.. رملٌ أخضر"، موظفًا في ذلك المنهج الوصفي التحليلي.

الكلمات المفتاحية: قصص الأطفال، المضمون القصصي، البناء الفني، الاحتياجات الخاصة.

Al-Adab Journal Issue. No (150) (September) 2024
E-ISSN: 2706-9931 P-ISSN: 1994-473X

مقدمة:

يعدّ فنّ القصة من أكثر الفنون الأدبيّة تأثيرًا في سلوكيات الأطفال، وأقربها إلى نفوسهم وأحبها؛ لما يمتاز به من خصائص فنية تبعث على التشويق والترقّب لما ستحيل إليه أحداث القصة، وما يدور بين شخصياتها من حوارات وما ينتظرها من مغامرات. كما أنها تتيح الفرص أمام الأطفال لـ "معرفة الإجابات عن أسئلتهم واستفساراتهم ومحاولات الاستكشاف، واستعمال الخيال، وتقبل الخبرات الجديدة التي يرفدها أدب الأطفال". (شحاته، ١٩٩٤، ص:٧)

لذا يعتمد التربويون والمعلمون القصة في تحقيق أهداف التربية المنشودة بشكل ممتع ومسلٍ، بعيدًا عن التوجيهات والتعليمات والأسلوب المباشر الذي لا يستسيغه الأطفال. ومن أهم تلك الأهداف: التعليمية ،والوجدانيّة، والاجتماعيّة، والإنسانيّة. كتعليم الطفل أشياء جديدة، ومساعدته على فهم الحياة والتكيف معها، و"خلق التوازن النفسي لدى الطفل، وهذه القضية شائكة ومعقدة لارتباطها بعوامل أخرى، ولكن يبقى الأدب وسيلة فعالة لتوقّي العلل النفسية أو تخفيف ما ينتاب الطفل منها". (باداود، ٢٠٠٣، ص: ١٨)

أما من الناحية الاجتماعية والإنسانيّة فتهدف قصة الأطفال إلى تنمية الوعي الاجتماعي لدى الطفل، فيدرك أنه فرد مهم في جماعة، له حقوق وعليه واجبات تشعره بمسؤولية تجاه أفراد مجتمعه، وتربطه بهم علاقات أخوية وأسرية وإنسانيّة، تحكمها فضائل الأخلاق والعادات الأصيلة، مثل: الاحترام، والتعاون ،والتراحم، والتسامح وغيرها. والأديب الناجح هو "الذي يتمكن من أن يستغل هذه الأسس النفسية والروحية والثقافية والحاجات الاجتماعية والفلسفية للمجتمع، وذلك بوضع الأسس التي ينبغي أن تتبع في تهذيب الأطفال وتثقيفهم، وبالخطوط العامة التي تهدي الصغار في التكيف السليم مع المجتمع وأفراده". (آل عبدالمحسن، ٢٠٠٨، ص: ٧٥)

ومما سبق يتضح أن الكتابة للأطفال أمر يجب ألا يستهان به، فهي ليست بالسهولة التي قد يتخيلها بعض المبتدئين، إذ يفترض فيمن يرغب في ذلك أن يستعين بالعلوم والمعارف المختلفة مثل: أسس التربية، وعلم الاجتماع، وعلم نفس النمو وغيرها. وما "دامت الغاية الأسمى لأدب الأطفال هي خلق الطفل السوي بدنيًا وانفعاليًا وفكريًا؛ كان من واجب من يتصدى للكتابة في أدب الأطفال أن يستشير علم النفس ونظرياته خشية أن يقع الكاتب في أخطاء تؤدي إلى نتائج سلبية على نفسية الطفل، وربما تخلف عنده عقدًا يصعب إزالة آثارها. وفي هذا المجال كان علم النفس المعرفي يؤكد دائمًا أن المهمة الفكرية الرئيسية التي تواجه الأطفال هي حاجتهم المستمرة لفهم كل ما يدور حولهم". (عبدالقادر، ٢٠١٣،

ص:١٣١)، وتشكّل فكرة القصة ومضمونها قاعدة مهمّة في بنائها العام، وعليها ينبني تشكيلها الفني، ومعها يستمر منذ بدايتها حتى نهايتها. فالفكرة "تظل في تطوّر مستمر في أثناء الاستطراد في القصة؛ لذا يطلق عليها قلب القصة؛ لأنها تظل تنبض في القصة دومًا، وكلما اتخذت الفكرة طريقًا مقبولاً ومنطقيًا في تطورها كانت نهاية القصة أكثر ثباتًا واتفاقًا مع بقية المواقف والحوادث". (حلاوة، ٢٠٠٣، ص:٣٧) ومن هنا فإن العلاقة بين مضمون القصة وبنائها الفني علاقة ملتحمة متمازجة، ولا يمكن الفصل بينهما إلا من أجل الدراسة التحليلية والنقدية.

وانطلاقًا من هذا الأساس فإن هذا البحث يركّز على موضوع مهم وحسّاس في الآن نفسه، وهو إدراج أصحاب الإعاقة والاحتياجات الخاصة في القصص الموجهة للأطفال، وهو مضمون قد ركّزت عليه الأديبة الإماراتية نادية النجّار في عدد من قصصها، واستطاعت أن تنجح في تقديمه، فامتازت قصصها بمعالجة فنيّة سلسة وبسيطة تتناسب مع مرحلة الطفولة.

وقد اعتمدت هذه الدراسة المنهج الوصفي التحليلي لدراسة هذه القصص على المستويين المضموني والفني، فاستعرضت أنواع الإعاقات التي ركزت الكاتبة عليها، وناقشت الأساليب التي اتبعتها الكاتبة في معالجة ثنائية الإعاقة والهمّة في قصصها، فضلاً عن طرائق توظيف عناصر البناء الفني لتأتي منسجمة مع مضامين القصص، خادمة وداعمة لها.

وقد قُسمت الدراسة إلى ثلاثة محاور: الأول: يعرّف بالأديبة نادية النجار وبإنتاجها الأدبي، والثاني: يتناول أهمية معالجة موضوع الإعاقة والهمة في قصص الأطفال وخصوصيته، أما الثالث: فيسلّط الضوء على أنواع الإعاقة التي تناولتها الكاتبة، وأسلوب المعالجة عبر البناء الفني للقصص، وهي: الفكرة والحبكة، وعنوان القصة، وبناء الشخصية الرئيسة، والخاتمة، والخطاب البصري.

أوّلا: التعريف بالكاتبة وبإنتاجها الأدبي:

نادية النجّار أديبة إماراتية، حاصلة على شهادة البكالوريوس في علوم الحاسب الآلي. تنوعت إصداراتها الأدبية ما بين الرواية والقصة القصيرة وأدب الطفل. ومما صدر لها في قصص الأطفال: "أنا مختلف" ٢٠١٧، "النمر الأرقط" ٢٠١٧، "أصوات العالم" ٢٠١٨، "نزهتي العجيبة مع العم سالم" ٢٠١٩، "غافتان" ٢٠١٩، "خيوط الصوف الملونة" ٢٠٢١، بحر أصفر.. رمل أخضر" ٢٠٢٢، "الصرّة العجيبة" ٢٠٢٢. وقد أدرجت قصة "النمر الأرقط" ضمن منهج اللغة العربية للصف الرابع في دولة الإمارات العربية المتحدة. حصلت الأديبة على جوائز عديدة، منها: "جائزة الإمارات للرواية" عن روايتها "مدائن اللّهفة" عام

E-ISSN: 2706-9931 P-ISSN: 1994-473X

٢٠١٥، وحازت روايتها "ثلاثية الدّال" "جائزة معرض الشارقة الدولي للكتاب" عن أفضل كتاب إماراتي عام ٢٠١٧، وفازت قصتها للأطفال "أصوات العالم" بجائزة العويس للإبداع الأدبي عام ٢٠١٩. كما اختيرت قصتها "نزهتي العجيبة مع العم سالم" ضمن اللائحة القصيرة لجائزة الشيخ زايد للكتاب، وفازت القصة ذاتها بجائزة الدكتور عبدالعزيز المنصور عام ٢٠٢٠.

تحاول الأديبة نادية النجار في أغلب إصداراتها المخصصة للأطفال أن تعالج موضوعات جديدة ومختلفة لما هو سائد ومألوف، وتبتعد عن أسلوب التوجيهات والتعليمات والوعظ المباشر، تاركة المجال أمام الطفل القارئ للتفكير والتأمل من أجل الوصول إلى مغزى القصة، ومن ثم تفتح له مجال الأسئلة، والتحليل، والاستنتاج، وذلك بلغة بسيطة رشيقة، تتناسب والمرحلة العمرية المستهدفة.

ومما يلاحظ كذلك اهتمام الكاتبة بالمضامين الاجتماعيّة والأخلاقية والإنسانيّة، ما يجعل قصصها مؤهلة للترجمة إلى اللغات العالمية شتى؛ لأنها تخاطب الجانب الإنساني في الطفل، وتحثه على التمسك بالسلوكيات الصحيحة والأخلاقيات القويمة التي تتفق وقيم الإنسانية على اختلاف أعراقها وبيئاتها، وذلك بأسلوب غير مباشر، وتقنيات فنيّة متمكنة.

ومن أهم القيم الإنسانيّة والأخلاقية التي ركزت الأديبة عليها في قصصها الموجهة للأطفال: مراعاة ذوي الاحتياجات الخاصة من الأطفال والكبار، وفهم حالات الإعاقة على اختلاف أنواعها، ونقل ما يشعر به ذوي الاحتياجات الخاصة للطفل القارئ، سواء أكانت مشاعر سلبية تجعلهم يشعرون بالإحراج والنقص في محيطهم أم كانت مشاعر إيجابيّة تتبدى في تحدي الإعاقة التي يعانون منها، فتجعلهم يستشعرون الاختلاف والتميّز الإيجابي عمّن يحيط بهم، فيستعيضون بمهاراتهم الخاصة عن الحاسة التي تنقصهم.

ثانيًا: ثنائية الإعاقة والهمة في قصص الأطفال:

تُعرّف الإعاقة بأنها: "عدم قدرة الفرد على الاستجابة للبيئة أو التكيّف معها، نتيجة مشكلات سلوكيّة أو جسميّة أو عقليّة. والعجز هو الذي يسبّب هذه المشكلات، عند تفاعل الفرد المصاب به مع البيئة". (القمش والمعايطة، ٢٠٠٧، ص: ١٨) ويطلق على الأطفال من هذه الفئة تسميات عدة، مثل: الأطفال غير العاديين، أو الأطفال المعاقين، أو الأطفال من ذوي الاحتياجات الخاصة. وثمّة تسمية تفرّدت دولة الإمارات العربية المتحدة بها في تسمية من ينتمي إلى هذه الفئة، وهي إن بدت غريبة في نظر البعض في أوّل الأمر، إلا أنها أصبحت شائعة ومألوفة في الأقطار الأخرى فيما بعد، وهي: (أصحاب الهمم). وهي

E-ISSN: 2706-9931 P-ISSN: 1994-473X

تسمية أطلقها صاحب السمو الشيخ محمد بن راشد آل مكتوم، رئيس مجلس الوزراء حاكم دبي– رعاه الله– في أحد الاجتماعات التي نظمتها وزارة تنمية المجتمع.

ولم تأتِ هذه التسمية من فراغ، فهي تعكس رؤية إماراتية وسياسة وطنيّة واضحة، تؤمن بالجهود الجبّارة التي تمتلكها هذه الفئة من المجتمع في التغلب على التحديات التي تواجهها، وتعترف بقدرتها على تحقيق الإنجازات والتميّز في مجالات عديدة، إن هي نالت حقّها في الاندماج في المجتمع، والتمكين، والتعليم، والتأهيل، والرعاية الصحيّة، وإطلاق المبادرات التي تهدف إلى الكشف عن مواهبها والعمل على تنميتها.

ولتناول موضوع أصحاب الهمم في القصص الموجهة للأطفال أهميّة كبيرة، فإن عالجه القاص بطريقة مبنيّة على أسس علميّة ونفسية واجتماعية سليمة، وأمكنه أن يعرضه بصورة إنسانيّة أخلاقيّة، استطاع أن يحقق أهدافًا تربوية وأخلاقية سامية عديدة. فإذا قرأ القصةَ الطفلُ السليم المعافى تمكّن من فهم أقرانه وأقاربه من ذوي الهمم، واستيعاب الحالات الإنسانيّة المختلفة، فيتعاطف معها ويقدر مشاعر أصحابها، دون الإحساس بأنهم أقل منه شأنًا. فهم أفراد عاديون، بل أبطال يمتلكون همّة عالية في التغلب على أوضاعهم الصحية، التي لن تشكل لهم أية إعاقة أو تأخر عن أقرانهم، بل قد تصبح تلك الإعاقة عاملاً محفّزًا لهم، يزيدهم قوّة وإصرارًا على تحقيق أحلامهم وطموحاتهم في الحياة. وبذلك يكون أصحاب الهمم قدوة ومثلاً أعلى للطفل قارئ القصة. كما قد تركز القصص التي تعالج هذا الموضوع على طرائق التعامل مع ذوي الهمم، كل بحسب احتياجاته الخاصة، سواء تلك التي ولدت معه أو نتجت عن حادث ألمّ به في مرحلة من مراحل حياته. فيقدّر الطفل تلك الاحتياجات، ويتعلّم أنها منح من الله تعالى، وتجعله يقدّر النعم التي أنعم الله بها عليه من اكتمال الحواس وسلامة الجسد وتمام العافية والصحة.

وكما أن معرفة هذا الموضوع مهمّ للطفل القارئ السليم، فهو مهمّ– كذلك– للطفل من أصحاب الهمم، في حال تمكن من قراءة القصة بنفسه، أو قرئت له؛ لأن القاص قد يسلط الضوء على وسائل تمكين الطفل صاحب الإعاقة من الاندماج في محيطه، فيدرك بذلك أن هناك أطفالاً آخرين حول العالم يشاركونه ظروفه الحياتيّة، وتفاصيله اليوميّة بسبب التشابه في الوضع الصحي؛ فيقل سخطه، ويهدأ غضبه، وتقلّ حيرته، ويجد إجابات لأسئلته العديدة، ويصبح أكثر استقرارًا وسكينة من ذي قبل. ويعود السبب في ذلك إلى أن "اهتمام الأطفال بالشخصيات في القصص ينبع من رؤيتهم لأنفسهم فيها، وتحقيقها لرغباتهم واحتياجاتهم النفسية، وهو ما يتطلب أهمية أن تعبّر الشخصية عنهم، وقدرتها على إقناعهم، وكسب مودتهم". (الضبع، ٢٠٠٩، ص: ٦٥)

ويركز هذا النوع من القصص على جانب مهم آخر بالنسبة للطفل من أصحاب الهمم، وهو كيفيّة تأمين احتياجاته الخاصة وسبل توفيرها، وذلك عن طريق استثمار مواهبه الخفيّة، وتسخير الحواس الأخرى لتعويض ما يفتقده. والقيمة الأسمى التي يجدر بالقاص الماهر ألا يهملها في قصته هي نظرة الاحترام والتقدير التي يجب أن يُنظر بها إلى أصحاب الهمم، وتجنّب الاستهانة بهم أو الانتقاص من قدراتهم ومواهبهم، والابتعاد عن التنمّر الذي قد يبدر من بعض الأطفال تجاههم.

ثالثًا: أنواع الإعاقة في قصص نادية النجار وأسلوب المعالجة القصصية:

ركّزت الكاتبة نادية النجّار في قصصها الأربع: "أنا مختلف"، و"أصوات العالم"، و"نزهتي العجيبة مع العم سالم"، و"بحر أصفر.. رمل أخضر". على مضامين تتناول ثنائية الإعاقة والهمّة، عبر حبكات قصصية متقنة، تعرّف الطفل القارئ بطبيعة الإعاقة التي تعاني منها الشخصية الرئيسة في القصة، فتبيّن ظروفها، وتسرد تفاصيل حياتها اليوميّة، بأسلوب بسيط واضح، يتناسب مع مرحلة الطفولة المستهدفة. كما استطاعت أن تصوّر علو همّة هذه الشخصيّة في تحدي الإعاقة التي تعاني منها، وكيفيّة تعويض تلك الاحتياجات الخاصة عن طريق استثمار المواهب الأخرى التي تمتلكها، كما أنها تنقل حالة الرضا والسكينة التي تشعر بها الشخصية، والرضا بما قُسم لها، وعدم السخط أو الشعور بالنقص أو الإحراج ممن حولها.

وفيما يأتي قراءة لأسلوب المعالجة القصصية التي انتهجتها الكاتبة في القصص:

١. الإعاقة الجسديّة في قصة "أنا مختلف":

تصوّر قصة "أنا مختلف" حكاية طائر فلامنغو يعيش مع أهله وأصدقائه في أقصى شمال الكرة الأرضيّة، ولكنه مختلف عنهم في أن "إحدى ساقيه طويلة، والأخرى قصيرة". (النجار، ٢٠١٧، ص:٥) وهي إعاقة جسديّة وُلد بها (فنتير) المختلف، وكانت سببًا للحيرة والإحراج اللذين لازماه حتى كبر، ولاسيما حينما كان يرى انعكاس صورته على الماء، إذ كان يقارن نفسه بإخوته وأصدقائه:

"لماذا إحدى ساقيّ طويلة والأخرى قصيرة؟

أصدقائي سيقانهم طويلة ومتساوية في الطول، إلا أنا!". (النجار، ٢٠١٧، ص:٦)

غير أن حدثًا فارقًا في حياة (فنتير) جعله يدرك أن هذا الاختلاف لا يعني أنه أقل شأنًا وقيمة من الآخرين، أو أنهم يفضلونه في القدرات والمواهب، فهو يمتلك أيضًا مواهب وقدرات لا يمتلكها أصدقاؤه، وعليه أن يكتشفها ويختبرها بنفسه.

E-ISSN: 2706-9931 P-ISSN: 1994-473X

هذه المرحلة الفارقة جاءت مع اقتراب فصل الشتاء حينما أخبر والد (فنتير) أسرته بأنهم سيهاجرون إلى منطقة تقع في الجنوب، حيث يتوافر الدفء والطعام. وكانت الوجهة هي مدينة "دبي"، وتحديدًا "محمية الخور" التي تستقبل في الشتاء طيور الفلامنجو المهاجرة من كل أصقاع الأرض. هذا الخبر أشعر لـ (فنتير) بالحماس والخوف في الوقت نفسه؛ لأنه كان يشك في قدرته على الطيران لمسافات طويلة، وذلك بسبب الإعاقة التي كان يعاني منها. لكنّ الوالد حاول أن يبثّ الثقة والطمأنينة في نفس ابنه، فهو يمتلك جناحين قويين يستطيع اعتمادهما في الطيران.

وبالفعل فقد تمكّن (فنتير) أن يثبت لنفسه وللجميع بأنه طائر قوي وشجاع، وإن اختلافه جسديًّا لم يشكل له أي عائق في أن يتمكن من الطيران عاليًا ولمدة أيام متتالية، بل اكتشف أنه –على الرغم من صغر سنّه– كان أسرع طيور الفلامنجو في هذه الرحلة الطويلة الشاقة.

لم ينته التحدي بالوصول إلى الوجهة المبتغاة، فالشعور بالقلق والخوف عاود (فنتير) من جديد، وذلك حينما لم يجد من بين الطيور المهاجرة من كل مكان في العالم من يشبهه! وأصبح الشعور بالاختلاف المقلق أكثر إلحاحًا عليه حينما قررت الطيور أن تقيم حفلة يشارك فيها الجميع رقصة الفلامنجو الشهيرة. فقد كان متوترًا وقلقًا من سخرية الطيور منه؛ لأنه لن يتمكن من إتقانها بسبب إعاقته تلك. وهنا جاء تشجيع الوالد في محله مرة أخرى:

"اختلافك لا يقلّل من قدراتك؛ حاول أن تقدّم شيئًا فريدًا". (النجار، ٢٠١٧، ص: ٢٤)

وبالفعل استطاع (فنتير) أن يتفرّد في الاحتفال، حينما تعلم رقصة جديدة أبهر بها بقية الطيور وهي (فن الرّزفة الإماراتية).[1]

يتضح من مجريات الأحداث أن الكاتبة قد ركزت على قيم عديدة وجميلة، أهمها: أن الاختلاف عن الآخرين بسبب الإعاقة الجسدية لا يعني النقص، وعلى الشخص أن ينظر إليها بشكل إيجابي، ويوظفها لتكون سببًا في الثقة بالنفس، والبحث عن المواهب التي يمتلكها فيعمل على تنميتها وتطويرها. كما بيّنت دور الوالدين في تشجيع الأبناء وبناء الثقة في نفوسهم، والتركيز على جوانب القوّة التي يمتلكها أبناؤهم. وأكدت القصة على أهمية الكلمة الطيّبة وأثرها العميق في النفوس. وغيرها من القيم التي جاءت مبثوثة في السرد والحوارات، مثل: التعاون، والاحترام، والمحبّة ،والتراحم، والتعاون بين أفراد الأسرة.

---

[1] رقصة شعبيّة من الفنون التقليدية في دول الخليج العربي، تقام في المناسبات الاجتماعية والأعياد، تغنى فيها الأشعار وتردد من قبل المشاركين فيها.

E-ISSN: 2706-9931 P-ISSN: 1994-473X

وقد جاءت العناصر الفنيّة في القصة داعمة لفكرة القصة وأهدافها؛ ولأن "العنوان الأدبي هو علامة مركزيّة تشتغل اشتغالاً سيميائيًا هارمونيًّا من بداية النص حتى نهايته، إذ يظلّ فضاء العنونة المعلّق في رأس النص حاضرًا ومؤثرًا وموجّهًا في مراحل القراءة كلّها" (عبيد، ٢٠١٩، ص: ٢٤)، اختارت الكاتبة للقصة عنوانًا دالاًّ وصريحًا على الفكرة التي اعتمدتها، وهي الاختلاف الإيجابي. كما أنه عنوان ينطوي على التشويق والإغراء بالقراءة، إذ إن الطفل قبل قراءة القصة، سيتساءل عن طبيعة هذا الاختلاف وسببه، وعمّا إذا كان اختلافًا إيجابيًّا أم سلبيًّا.

وكما هو معلوم فإن الشخصيات في قصص الأطفال من الممكن أن تكون بشريّة أو غير ذلك، "فإن كانت الشخصيّة حيوانًا أو نباتًا أو جمادًا، فإن من واجب الكاتب أن يُنطِقَها ويحرّكها، مضيفًا إليها صفات إنسانيّة؛ لأن النطق والحركة عنصران مهمّان في قصص الأطفال، حيث إنهما المدخل الأول نحو تحقيق نوع من التعاطف بين الطفل وتلك الشخصيات، وتحقيق التعاطف يخلق جوًّا انفعاليًّا مساعدًا يخطو بالقصة خطوات واسعة في طريق النجاح". (خلف، ٢٠٠٦، ص: ٣٨، ٣٩)

وهو ما انتبهت إليه نادية النجّار جيّدًا عند تصوير الشخصيّة الرئيسة (فنتير)، إذ نجده في بداية القصة، حينما كان طائرًا صغيرًا، حائرًا متسائلاً عن سبب هذا الاختلاف في جسده، والذي يجعله لا يشبه أقرانه وإخوته. وحينما كبر تحوّل هذا التساؤل إلى إحراج وشعور بالنقص، جعله يشك في قدراته ومهاراته ويشعر بأفضلية بقية الطيور عليه. لكن التشجيع الدائم من الوالد جعله يلتفت إلى المهارات الأخرى التي يمتلكها من دون غيره، ويركّز عليها ويستثمرها في التميّز بشكل إيجابي.

فشخصيّة (فنتير) متطوّرة ومتنامية بتنامي الحدث في القصة، وكل موقف فيها يكشف عن جانب جديد من جوانبها. وتعد هذه السمة في رسم شخصيات قصص الأطفال أحد أسباب نجاحها وتأثرهم بها، فالشخصية الناجحة هي التي تكون من "هذا اللون المتطور الذي يخلد في الذاكرة ويعلق بالوجدان لتطورها ونموّها؛ وذلك ؛لأن الشخصية النامية تبدو حقيقية تعيش الحياة... والكاتب المبدع يجعل تطوّر الشخصيّة ونموّها تدريجيًّا ومقنعًا حتى يتفق مع الطبيعة في واقع الحياة". (الحديدي، ١٩٨٨، ص: ١٢٧)

E-ISSN: 2706-9931 P-ISSN: 1994-473X

وللخاتمة في قصص الأطفال أهمية كبيرة، هي موضع التغيير، فالقلق والتوتر تخف حدته ويختفي من الطرفين القارئ المتلهّف؛ لمعرفة مصير الشخصيات التي يتابعها طوال تلقيه القصة، والشخصية السرديّة نفسها، فتهدأ وتتوقف عن الانفعالات، وتزيل كل ما انتابها من قلق وتوتّر طوال السرد. (ينظر: المطيري، ٢٠٢٢، ص: ٤٩)، وبناء على ذلك فقد خُتمت قصة "أنا مختلف" بنهاية موفقة، فجاءت محملة بالبهجة للقارئ، تبث التفاؤل في نفسه، إذ أصبح (فنتير) بارعًا في إتقان فن جديد، واستطاع أن يحوّل الإعاقة إلى همّة وعزيمة جعلتاه يمتاز عن غيره في مهارات جميلة، كما قام –فيما بعد– بتعليم أصدقائه وإخوته من الطيور قواعد هذا الفن الجديد. هذا التدرّج في المشاعر– بلا شك– له تأثيره الإيجابي في شخصية الطفل القارئ. سواء من جهة الطفل الذي يعاني من إعاقة ما، أو من جهة الطفل السليم المعافى. فهو يكتسب القيم التي تضمنتها القصة متأثرًا بالشخصية الرئيسة، والتي ستدفعه دائمًا إلى التفاؤل، والأمل، وعدم اليأس، والثقة بالنفس.

ولأن كتب الأطفال "تعتمد على الصورة قبل الكلمة، حيث يجد الأطفال كتابًا في صفحات قليلة، يزدان بالرسوم الجميلة المتتالية التي تشكل في مجملها قصة قصيرة أو فكرة بسيطة صغيرة"، (الهيتي، ١٩٨٦، ص: ٢٧٦) فإن الخطاب البصري المصاحب للقصة جاء منسجمًا مع الخطاب اللغوي منذ بدايتها وحتى نهايتها، وكانت الرسومات داعمة موضحة للعبارات والحوارات الدائرة بين الشخصيات. فمشاعر الحزن والحيرة والقلق، وكذلك السعادة والفرح والبهجة التي انتابت (فنتير) طوال أحداث القصة كانت بادية واضحة على الرسومات التي صوّرته في مختلف المشاهد المصوّرة، وهو أمر يساعد الطفل القارئ على الاندماج في أحداث القصة وفهم المضمون بشكل أفضل.

٢. الإعاقة السمعيّة في قصّة "أصوات العالم":

تحكي قصة "أصوات العالم" تفاصيل وأحداث يومٍ سعيد، تُروى على لسان طفلة تعاني من الصمم، وتستعمل لغة الإشارة في التواصل مع من حولها. فمن أجل هذه الطفلة اللطيفة، المحبّة للمعرفة، تعلمّ أفراد أسرتها وأقاربها وجيرانها اللغة ذاتها. هي طفلة دائمة التساؤل عن الأشياء من حولها والأصوات التي تُصدرها. لا تشعر بالحرج من إعاقتها؛ لأنها تعرف أن السؤال وتعاون المحبين المقربين منها سيقودها دائما إلى الهدف الذي تنشده وتسعى إليه، وهو الوصول إلى المعرفة. فهي وإن كانت تفتقد حاسة السمع، فإنها تمتلك مواهب أخرى تعوّضها عن ذلك، أهمها: لغة الإشارة التي أتقنتها لكي تتمكن من التعامل مع العالم المحيط بها.

E-ISSN: 2706-9931 P-ISSN: 1994-473X

تهدف قصة "أصوات العالم" إلى بث روح التفاؤل في نفوس الأطفال، كما تحثّهم على الثقة في مواهبهم وقدراتهم، وتعلمهم أن أية إعاقة ظاهريّة لن تمنع الإنسان من تحقيق ما يتمناه، والوصول إلى ما يتوق إليه من المعرفة وأسرار الحياة. كما توضح القصّة العلاقات الاجتماعيّة الأسريّة الدافئة وتركز على قيمة التعاون والمحبة التي يجب أن تسود بين أفراد الأسرة، فيشعر الفرد بمكانته فيها، وأنه سيلقى الدعم والقوة ممن يحب. ويبدو ذلك بوضوح حينما بيّنت القصة حرص أفراد الأسرة على تعلّم لغة الإشارة ليتمكنوا من التواصل مع الطفلة المصابة بالصمم، حتى يعبّروا لها عن حبّهم لها ويتمكنوا من التواصل معها بسهولة ويسر، وكي لا يشعروها بأنها أقلّ منهم في شيء.

تقول الكاتبة على لسان الطفلة:

"وعند اقترابنا من البيت، شاهدتُ أبي يقلّم أشجار الحديقة. أخبرني بلغة الإشارة التي تعلّمها كلّ أفراد العائلة من أجلي: أنا أحبّكِ.

ركضتُ نحوَهُ، واحتضنتهُ، وهتفتُ: وأنا أيضًا أحبكَ". (النجار، ٢٠١٨، ص:١٩، ٢٠)

ومن الجانب الفنيّ للقصة يلحظ أن عنوانها يبرز في بدايتها كعنصر مشوّق وجاذب ومفارق في الآن نفسه للطفل، إذ يستدعي العنوان إلى ذهنه أصواتًا مختلفة قد سمعها من قبل، وما إن يبدأ بقراءة القصة تصادفه طفلة تروي أحداث يومها دون أن تتمكّن من سماع تلك الأصوات، لكنها تمتلك موهبة ترجمة الأصوات إلى أحاسيس تدرك باللّمس، وقد عوّضتها مشاعر أسرتها الدافئة عن تلك الأصوات. إذ تقول الطفلة في نهاية القصة:

"جلستُ بجانب أمّي، كدْتُ أسمعها تغنّي، بل كنتُ أسمعها؛ فأنا أعرف كيف يبدو صوتها... صوتها يجمع كل الأشياء الجميلة. سألتُها: كيف يبدو صوتي؟

أشارت: هكذا. ثمّ قبّلتني على خدّي، نامتْ بجانبي وضمّتني إلى حُضنها، فحلمْتُ بكلّ أصوات العالم". (النجار، ٢٠١٨، ص: ٢٢- ٢٤)

ولأن "الطفل بحاجة لرؤية الشخصية أمامه في القصة حيّة مجسّمة، وأن يسمعها تتكلم بصدق وحرارة وإخلاص، حتى يرى فيها النموذج الذي يحتذيه، فتترك أثرها سلبًا أو إيجابًا". (بريغش، ١٩٩٢، ص: ١٥٤) فقد صوّرت نادية النجّار الشخصيّة الرئيسة (الطفلة) وهي تمارس أنشطتها اليوميّة بكل نشاط وفرح كما يقضي الطفل السليم يومه. هي شخصيّة متفائلة ومبتهجة، تمتلك موهبة خاصة في فهم الأصوات ،وتخيلها، وتفسيرها عن طريق الإحساس الذي ينقله إليها أفراد أسرتها وأقاربها. وهي لغة جسديّة لطيفة خاصة، تترجم الأصوات على هيئة حركات حسية، مثل: الدغدغة في باطن الكف، والقرص اللطيف، والخرمشة الخفيفة على الذراع والضغط عليها، والنفخ بحنان في الأذن.

E-ISSN: 2706-9931 P-ISSN: 1994-473X

ومثال ذلك ما جاء على لسان الطفلة في بداية القصة:

"كانت أختي الكبيرة تتأمّلني بينما أرسم عصفورًا يتراقص على غصن شجرةٍ، أشارت: ما أجمله!

ثمّ سألتُها: تُرى.. كيف يبدو صوت العصافير؟

داعبَتْ باطن كفّي بدغدغات خفيفة، فابتسمتُ وصِرْتُ أتخيّل صوت العصافير". (النجار، ٢٠١٨، ص: ٢)

وكما بدأت الكاتبة قصتها بإظهار المشاعر الأسرية الدافئة المتبادلة بين الطفلة وأختها الكبرى، فقد ختمتها بخاتمة موفقة تنسجم مع البداية، إذ صوّرت الطفلة وهي مطمئنة بين أحضان أمها التي عوّضها، بالمحبّة والحنان وبث التفاؤل والأمل، عن أصوات العالم كلها. وهذه الخاتمة مُرضية للطفل القارئ، فهي متناسقة مع أحداثها ومناسبة لحبكتها، فهي تقوده إلى "حالة اطمئنان على أبطال القصة، ورضا عمّا قدّم له فيها، فقد أُغلقت القصة بهذه النهاية السعيدة، التي لا يتطلع المتلقي إلى غيرها، فالخاتمة السعيدة -غالبًا- مطلب الجميع". (المطيري، ٢٠٢٢، ص: ٨٩)

تميزت القصة من ناحية الإخراج الفني برسومات مبهجة وألوان طفولية مرحة، وضّحت السرد والحوارات في القصة بطريقة تيسّر على القارئ فهم الحركات، وإشارات اليد التي كانت تصدر عن الشخصيات، وتوضح له أن اللغة التي تصدر عن الطفلة لا تشبه اللغة التي يستعملها هو في التعامل مع من حوله. وعلى الرّغم من أن الكاتبة لم تصرّح في بداية القصة بطبيعة اللغة (لغة الإشارة) التي كانت تستعملها الشخصية (الطفلة) في التواصل مع المحيطين بها، إلا أن الرسومات جاءت دالّة وموضحة لذلك. وقد رُسمت على صفحتي الغلاف الداخليتين المتقابلتين إشارات باليد، وتحت كل إشارة كتب أحد حروف الهجاء، وهو توضيح من رسامة القصة بطبيعة لغة الإشارة وطريقة التفاهم بها. كما تضمنت الصفحة الأخيرة من الكتاب تعريفًا مبسطًا لـ (لغة الإشارة) التي بُنيت عليها القصة، وذلك بهدف التبسيط والتيسير على الطفل القارئ.

٣. الإعاقة البصريّة في قصتي "نزهتي العجيبة مع العم سالم" و"بحرٌ أصفر.. رملٌ أخضر":

تعالج نادية النجار موضوع الإعاقة البصريّة من زاويتين مختلفتين في قصتيها: "نُزهتي العجيبة مع العم سالم" و"بحرٌ أصفر.. رملٌ أخضر". ففي الأولى تصوّر الإعاقة عبر شخصية راشدة كفيفة هي (العم سالم)، والأخرى عبر حالة طفل يعاني من مرض عمى

E-ISSN: 2706-9931 P-ISSN: 1994-473X

الألوان(٢)، ولكن تشترك القصتان في أنهما تُرويان من وجهة نظر طفل، يتولى سرد أحداثها والتعبير عمّا يشعر به ويراه ويسمعه.

ففي قصة "نزهتي العجيبة مع العم سالم" يحكي الطفل/الراوي عن نزهات عجيبة يصطحبه فيها (العم سالم) كل يوم جمعة. وهي عجيبة من وجهة نظره؛ لأنه على الرغم من أن عمّه رجلٌ ضرير، إلا أنه كان يحفظ الطرق كلها، ويهتدي إلى الوجهات التي يريدان زيارتها قبل الوصول إليها، يقول في بداية القصة:

"أسأله كيف يعرف الطّريق؟ يجيبني: اتبعني وستعرف". (النجار، ٢٠١٩، ص: ٢)

ويتفاجأ الطفل أن (العم سالم) بإمكانه أن يعتمد حاسة الشم القويّة لديه في معرفة الطرق والناس والأشياء التي سيقابلونها في طريقهم. فرائحة الخبز الساخن دليل على اقترابهم من بيت الخالة مريم، ورائحة الحلويات والسكاكر التي يحبها الأطفال علامة على اقترابهما من دكّان حسن، أما رائحة القهوة فإشارة على الاقتراب من المقهى. ولا يقف الأمر عند ذلك، فالعم سالم يستطيع أن يدرك الأحاسيس والمشاعر الجميلة عن طريق حاسة الشم أيضًا، فرائحة "الرجال الذين يغوصون بحثًا عن اللؤلؤ، ورائحة الفرح على وجه الصيّاد حين يظفر بأسماك كثيرة، ورائحة السعادة في أقدام الأطفال الذين يلعبون على الرمال الناعمة". (النجار، ٢٠١٨، ص: ٢٠)، كلها ترشد (العم سالم) إلى الاقتراب من البحر والشاطئ. كما قد تعلم الطفل/ الراوي منه أن "هنالك رائحة للفوز ورائحة للخسارة"، (النجار، ٢٠١٨، ص:٢٦) وذلك حينما شاهدا معًا مباراة كرة القدم في الملعب.

لقد كانت تلك النزهات التي ينتظرها الطفل/الراوي بكل حماس كل يوم جمعة سببًا لدهشته وتعجبّه، ومن ثمّ إعجابه وتأثره بالعم سالم، فقد تدرّب على تقوية حاسة الشم لديه وأصبح يعتمد عليها، خاصة حينما كان يطلب منه (العم سالم) أن يغمض عينيه ليهتدي إلى الوجهة التي تنتظرهما، كما تعلّم أن الذاكرة القوية بإمكانها أن ترشد الإنسان إلى الطريق الصحيح، وإن المشاعر الصادقة الحقيقيّة تدرك بالبصيرة وليس بالبصر. وكل ما تعلمه الطفل/الراوي عبر نزهاته مع عمّه هي دروس وقيم تنتقل بالتأثر إلى الطفل القارئ الذي سيتفاعل مع طريقة السرد الشائقة لأحداث النزهات العجيبة. فضلاً عن قيم أخرى حرصت الكاتبة على تضمينها في الأحداث، وبثها في ثنايا القصة، مثل: الاحترام، والتعاون، والكرم، والإصرار والعزيمة، وحبّ العمل، وتقدير العمّال وأصحاب المهن، وغيرها الكثير. ولذا فإن كون الشخصيّة الرئيسة في القصّة طفلاً جاء موفقًا وصائبًا، ومنسجمًا مع أهدافها التربوية.

---

(٢) يسمى كذلك مرض "خلل الألوان" مرض وراثي ناتج عن خلل في الصبغة الموجودة في مخاريط العين، فيصعب على المصاب تمييز بعض الألوان فتبدو متشابهة، مثل اللونين الأزرق والأصفر أو الأحمر والأخضر.

E-ISSN: 2706-9931 P-ISSN: 1994-473X

أما فيما يخص العتبة الأساسية، فإن عنوان القصة جاء محمّلاً بتشويق الطفل لمعرفة ذلك الجانب العجائبي الذي تخبئه النزهات، كاشفًا عن البطلين الرئيسين فيها، وهما: الطفل/ الراوي، الذي لم تصرّح أحداث القصة باسمه، والعم سالم الذي كان صاحب الهمّة والعزيمة، والبصيرة التي أرشدته دائمًا للوصول إلى أهدافه، وإلى المشاعر النبيلة التي كان يشعر بها تجاه من يحب.

وقد ختمت الكاتبة القصة بموقف ظريف ونهاية فكاهيّة طريفة، فقد استطاع الطفل في نهاية النزهة أن يستدل على اقترابهما من منزلهم، وذلك حينما استعمل طريقة (العم سالم) وأسلوبه ليستدلّ عليه، يقول:

"نكمل طريقنا. أقول: "لقد اقتربنا من منزلنا!"

يسألني: "كيف عرفتَ؟"

أغلقُ عينيّ وأقول: "من رائحة السمك المشوي الذي تعدّه أمي للغداء!".

يبتسم عمّي سالم، وتلمع عيناه الضريرتان فَرَحًا". (النجار، ٢٠١٨، ص:٣١)

أما على صعيد الإخراج الفني فلم تُظهر رسومات القصة شخصية (العم سالم) بعينين مفتوحتين إلا في الصفحة الأخيرة، في المشهد الختامي الآنف الذكر. إذ كانت الرسومات تصوّره عبر الصفحات السابقة على هيئتين اثنتين. إما من الخلف أو بعينين مغمضتين، وهو ما جاء متوافقًا مع الجانب اللغوي للقصة، إذ لم تصرّح الكاتبة في سياق القصة بأن (العم سالم) كان ضريرًا إلا في السطر الأخير منها، إذ كانت أحداث القصة تتوالى مصوّرة (العم سالم) وهو يتعرّف على الأشخاص والأشياء والأماكن وسط تعجّب الطفل ودهشته، داعيًا إياه أحيانًا أن يغمض عينيه كي يتخيّل الأشياء ويكتشفها عن طريق رائحتها. وهو ما قد يجعل القارئ متسائلاً طوال الوقت، متشوّقًا لمعرفة النهاية التي ستكشف عن سبب تعجّب الطفل من ناحية، وعن سرّ تصرّفات (العم سالم) وأسلوبه الخاص في التعرف إلى الطريق والأشياء من حوله. الأمر الذي جاء منسجمًا مع مضمون القصة ومغزاها وأهدافها التربوية والإنسانيّة.

أما بخصوص القصة الأخرى وهي قصّة "بحرٌ أصفر.. رملٌ أخضر"، فإن العنوان يشكّل مفارقة في حدّ ذاته، فهو يعكس موضوع القصّة وطبيعة الإعاقة البصريّة التي تعاني منها الشخصيّة الرئيسة التي تتولى رواية الأحداث. وهو مرض (عمى الألوان) وعدم القدرة على تمييز بعضها،إذ يحكي الطفل/الراوي عن مشاهد مختلفة من يومياته، مشاهد ملونة كما يراها هو بطريقته الخاصة:

"ألوّن الأشياء في خيالي؛ الأبيض والأسود والرّمادي". (النجار، ٢٠٢٢، ص: ٤)

E-ISSN: 2706-9931 P-ISSN: 1994-473X

ونجده يعرف حقيقة الألوان بمقارنة الأشياء المتشابهة ببعضها:

"أعرف أن الأصفر لقرص الشّمس كل صباح، وكتاكيت الجيران قبل أن تكبر وتصبح ديكة ودجاجات، وزهرة دوّار الشمس لمّا تتفتّح في حديقة بيتنا". (النجار، ٢٠٢٢، ص: ٥)

ولكنّ إصابته بهذا المرض تمنعه أحيانًا من التمييز بين بعض الألوان أحيانًا:

"ولكن يحدث أحيانًا أن أخلط ألوان الأشياء وأحتار: هل الموزة بيضاء أم صفراء؟

ثمار التوت في حديقتنا حمراء أم ليلكيّة؟

سيارة العم نبيل القديمة بيضاء مثل قميصه كما أرى، أم صفراء؟" (النجار، ٢٠٢٢، ص:١٠)

الأمر الذي يجعله يسمي ألوان الأشياء بأسماء أخرى. ولكنه على الرغم من ذلك فإنه لم يُقابل بأية سخرية أو استهزاء ممن حوله، ممن يحبّونه ويقدّرون حالته الصحية، مثل العم نبيل وجدّته وأمه. حتى إن معلمه في المدرسة قد أثنى على رسمته التي خلط ألوان الأشياء فيها، ورسمها بألوان جديدة، مغايرة لما هي في الطبيعة، يقول:

"رسمْتُ سماءً ورديّة، بحرًا أصفر، رمالاً خضراء، أشجارًا ليلكيّة بجذوع تركوازيّة في الحصة الفنيّة.. شهق المعلم حين رآها: ما أجمل هذه اللوحة! أظنّها سورياليّة!". (النجار، ٢٠٢٢، ص: ١٧) لذا لم يلتفت الطفل إلى اختلافه عمّن حوله من الأطفال والكبار، ولم يعد يهتم بعدم قدرته على تمييز الألوان في بعض الأوقات. فقد أصبح الأمر عاديًّا بالنسبة إليه، وأخذ يتسلى بتغيير ألوان ما حوله.

أحد أهم القيم التي ركزت عليها الكاتبة في هذه القصة هي عدم السخرية من الآخرين المختلفين ومراعاة حالاتهم الصحيّة. كما أن القصّة توجّه الأطفال الذين يعانون من مثل هذه الاختلافات إلى عدم الشعور بالنقص أو الإحراج وأن يتقبلوا ذلك. فهي لا تنقص من شأنهم شيئًا، ولن تجعل الآخرين ينظرون إليهم نظرة استصغار أو استنقاص. ولم تخلُ القصة من لفت أنظار الكبار والراشدين إلى الطرائق التربويّة السليمة في التعامل مع الأطفال الذين يعانون من مثل هذه الحالة، فالأمر يتطلب التفهم الحذر والمساعدة والتشجيع المستمر لجعل الطفل يتأقلم مع محيطه، ويدرك وضعه بكل وضوح وتقبّل.

وبالعودة إلى عنوان القصة المفارق، نجد أن الطفلُ سيكتشف بعد قراءة القصة السبب الذي جعل لون الأشياء يبدو مغايرًا لما هي في الطبيعة، فالعنوان يعكس طريقة الطفل/الراوي في وصف الأشياء من حوله، ومستوى قدرته على تمييز ألوانها؛ لذا نجده عنوانًا دالاً ويصف بدقة حالة الشخصية من الناحية الصحيّة، وفي الوقت ذاته يعدّ محيّرًا ومشوّقًا للطفل قبل قراءة القصة، فيعمل على شدّه وتحفيزه لمعرفة أحداثها.

E-ISSN: 2706-9931 P-ISSN: 1994-473X

أما فيما يتعلّق بالشخصيّة الرئيسة فيتضح عبر العرض السابق لفكرة القصة، مراحل نموّها وتطوّرها، إذ هي شخصيّة ترغب عن طريق تساؤلاتها فهم طبيعتها المختلفة، تتساءل كي تعرف وتستكشف. وبعد أن تدرك طبيعة ذلك الاختلاف نجدها تتفهم الأمر وتتقبله، فلم تسخط ولم تغضب ولم تُحبط، وما ساعدها على ذلك تفهّم المحبين من حولها وتشجيعهم لها، حتى صار الأمر بالنسبة إليها مسليًا ومعتادًا.

وقد خُتمت القصة بخاتمة مركزة تبيّن نقطة التشابه بين الطفل وبين الناس الأصحاء، وذلك بعبارة بليغة على لسانه:

"حين يأتي آخر النهار، يرى الكثير من الناس أحلامهم كما أراها، بالأبيض والأسود والرمادي". (النجار، ٢٠٢٢، ص: ١٩)

ولأن الصّور والرسومات والألوان وسيلة من وسائل توضيح اللغة المكتوبة وشرحها، فإنه من الضروري توظيفها بتقنية مدروسة في قصص الأطفال من الكاتب والرسّام، "فهي لغة أخرى غير اللغة المتعارف عليها، لكنها غير كلاميّة، وتضاعف من أثر اللغة اللفظيّة عند الإنسان بصفة عامة، والطفل بصفة خاصة؛ لأنه بحكم تكوينه ومستواه العمري والعقلي أكثر احتياجًا لهذ الوسائل التي تضيء له القضايا، وتقرّب له المفهومات". (أبو الرضا، ٢٠٠٥، ص: ٢١، ٢٢)؛

لذا فقد وُظفت الرسومات والألوان في قصة "بحرٌ أصفر.. رملٌ أخضر" بأسلوب فريد، يشرح للطفل القارئ ويبين له كيفية اختلاط الألوان من منظور الطفل/الراوي، إذ لُوّنت أغلب الرسومات في الصفحات بألوان باهتة متداخلة بالأبيض والأسود والرمادي. فحينما كان الطفل يشرح طريقة تداخل الألوان واختلاطها كانت الرسومات في الصفحات تتراوح بين اللونين الذين يتداخلان في نظر الراوي ويُشكلان عليه. فتظهر على سبيل المثال في الصفحة الثانية عشرة سيارة العم نبيل باللونين الأبيض والأصفر الباهت. وهذا الانسجام بين اللغة والخطاب البصري أضفى على القصة جانبًا فنيًّا متميّزًا، وأكسبها قدرة أكبر على التأثير في نفس الطفل القارئ؛ فهو يصوّر الأشياء بالألوان التي كان يراها الطفل بطل القصة، وهذا ييسر إيصال الفكرة للطفل بشكل أفضل، ويجعل مضمون القصة أكثر وضوحًا وأيسر في الاستيعاب بالنسبة للقارئ.

E-ISSN: 2706-9931 P-ISSN: 1994-473X

وختامًا، نوجز القول بإن على كاتب قصص الأطفال أن يُحسن اختيار الموضوع الذي يتلاءم واحتياجاتهم واهتماماتهم، وهي احتياجات متطّورة بتطوّر المراحل العمريّة، ومتغيّرة بتغيّر العصر والزمن. وعلى قدر اهتمام الكاتب بالموضوع، عليه –كذلك– ألا يهمل الشكل الفنّي الذي ستقدّم عن طريقه الفكرة، حتى تحقق القصة أهدافها ومغزاها. ومن العرض السابق لاحظنا اهتمام الأديبة الإماراتيّة نادية النجّار بمعالجة قضايا ومواضيع جديدة ومهمة في قصصها الموجهة للأطفال، ومن أهمها موضوع أصحاب الاحتياجات الخاصة، الذي يعكس رؤية دولة الإمارات العربيّة المتحدة في الاهتمام بهذه الفئة في المجتمع. وقد عالجت الكاتبة– في قصصها الأربع المدروسة في البحث– حالات مختلفة من الإعاقة وهي: الجسديّة، والسمعيّة ،والبصريّة. وامتازت قصصها من ناحية اختيار الموضوع نفسه، والتركيز على القيم التربوية والاجتماعيّة والإنسانية والأخلاقية المبثوثة فيها من جهة، ومن ناحية البناء والتشكيل الفنّي من جهة أخرى، والذي شمل: اختيار العنوان، و الحبكة، والأحداث، وبناء الشخصية، والخاتمة، علاوة على الاعتناء بالخطاب البصري المصاحب للخطاب اللغوي.

المصادر والمراجع:

١. باداود، سعيد (٢٠٠٣)، أدب الطفل العربي، دار سعاد الصباح، الكويت.

٢. بريغش، محمد (١٩٩٢)، أدب الأطفال: تربية ومسؤولية، دار الوفاء، المنصورة.

٣. الحديدي، علي (١٩٨٨)، في أدب الطفل، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة.

٤. حلاوة، محمد (٢٠٠٣)، الأدب القصصي للطفل، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية.

٥. خلف، أمل (٢٠٠٦)، قصص الأطفال وفن روايتها، عالم الكتب للنشر، القاهرة.

٦. أبو الرضا، سعد (٢٠٠٥)، النص الأدبي للأطفال، مكتبة العبيكان، الرياض.

٧. شحاتة، حسن (١٩٩٤)، أدب الطفل العربي: دراسات وبحوث، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة.

٨. الضبع، محمود (٢٠٠٩)، أدب الأطفال بين التراث والمعلوماتية، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة.

٩. عبدالقادر، علي (٢٠١٣)، موسوعة أدب الأطفال، مركز القارئ العربي، أبوظبي.

١٠. آل عبدالمحسن، عبدالله (٢٠٠٨)، أساسيات أدب الطفل، دار الشرق، قطر.

١١. عبيد، محمد (٢٠١٩)، العنوان: دالاً روائيًّا، دائرة الثقافة، الشارقة.

E-ISSN: 2706-9931 P-ISSN: 1994-473X

١٢.القمش والمعايطة، مصطفى وخليل (٢٠٠٧)، سيكولوجية الأطفال ذوي الاحتياجات الخاصة، دار المسيرة، عمّان.

١٣.المطيري، جميلة (٢٠٢٢)، الخاتمة في قصص الأطفال، ملامح للنشر والتوزيع، الشارقة.

١٤.النجار، نادية (٢٠١٧)، أنا مختلف، قنديل للطباعة والنشر، دبي.

١٥.النجار، نادية (٢٠١٨)، أصوات العالم، الهدهد للنشر والتوزيع، دبي.

١٦.النجار، نادية (٢٠١٩)، نزهتي العجيبة مع العم سالم، دار الساقي، بيروت.

١٧.النجار، نادية (٢٠٢٢)، بحر أصفر.. رمل أخضر، واو للنشر، الشارقة.

١٨.الهيتي، هادي (١٩٨٦)، أدب الأطفال، الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة.